

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أتحدث بمقدار وأسأل الله تعالى أن يجعل في هذا الحديث^١ بركة إن شاء الله، قد يتحدث الشخص بكلمة تكون مباركة وقد يتكلم كلاما كثيرا لا يكون مباركا، نحن نرجو أن يجعل الله في هذا الحديث وفي وقتكم الثمين الذي تبذلونه لاستماع هذا الحديث بركة

فاطمة (ع) هي (سيدة نساء العالمين)^٢، لا أدري كيف حصل هذا التواتر في الروايات، لا أقصد عندنا بل هذا موجود حتى في كتب القوم فالمتوقع أن لا تتواتر عندهم فضائل أهل البيت (ع)، ولكن كيف حدث هذا؟ أنا لا أعلم، ليس بهذه الصيغة فقط وإنما تارة بصيغة (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)^٣، وتارة بصيغة (سيدة نساء المؤمنين)^٤، لكن المعروف عندنا هو (فاطمة سيدة نساء العالمين)

أريد أن ألفت نظرك وأذكرك في الواقع إلى ما تتضمنه هذه الكلمة المنقولة عن رسول الله (ص)، قبل هذا أذكرك بما كررته -مرارا- وهو أننا الآن نعاني جدا في فهم النصوص الدينية، يعني لا نستطيع أن نجزم تماما كيف كان المسلمون يتلقون هذا النص بالضبط، وكيف كانوا يتعاملون معه؟ نحن لذلك نبذل جهدا لتحديد المعنى المراد من النص وهذه مشكلة عامة، لذلك نقول إن القرآن أساسا لا يمكن فهمه إلا بحضور الإمام أو بحضور إمامة الإمام، يعني نسعى لمعرفة إمامة الإمام فهناك نستطيع بدرجة كبيرة أن نفهم القرآن الكريم^٥، هذا تحدثت عنه في أوقات مختلفة وأردت الآن أن أذكركم به

(١) تحدث السيد محمد علي الباقر (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) المستدرک علی الصحيحین (١٥٦/٣)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٨٨/٦)

(٣) كتاب البخاري (٢٩/٥)، ومسنَد أحمد (٨٠/٣)

(٤) كتاب مسلم (١٩٠٤/٤)، وكتاب البخاري (٦٤/٨)

(٥) بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب هكذا آمنت ٣ - القرآن (قرآن)، فصل (حاجة الكتاب إلى الولاية)

أذكر لك أربعة معاني تأتي ببالي للتعامل مع هذه الرواية، لو تفكر معي ربما هنالك بعض المعاني الأخرى التي أنا غافل عنها، وأنت إن شاء الله قد جئت من الباب يعني تطلب وتبحث عن شيء تفتقده، فهنا أحد هذه المعاني -إذا اتضح- سوف يصبح هو أحسن هذه المعاني لك، فإذا أصبح أحسن المعاني في نفسك، في هذه الصورة ماذا يحصل؟ لابد أن تتبعه

المعنى الأول: هو أن النبي (ص) أراد أن يشرف فاطمة (ع) فيقول عنها أنها هي سيدة نساء العالمين، مثلاً نحن نسمي بناتنا (أميرة أو سلطانة) هذا ماذا يعكس؟ هذا يعكس رغباتنا، فمدح فاطمة (ع)، يعني عزيزة، غالية، حبيبة، فهي سيدة نساء العالمين، بطبيعة الحال هنا لأن النبي (ص) لا يمدح شخصاً عبثاً فلا بد أن تكون لفاطمة (ع) كذلك بعض الخصائص المميزة، هذا المعنى موجود، بهذا المعنى هذه الكلمة لا تطالبك ولا تطالبي بشيء، صحيح فاطمة (ع) سيدة نساء العالمين، حبيبة رسول الله (ص)، عزيزة رسول الله (ص)، ولكن غاية ما هنالك أن يحصل تعاطف معها، أما أن هذا القول يطالبنا بشيء؟ يهدينا إلى شيء؟ لا، وددت لو أعرف هل أنت كذلك تتصور هذا الذي قلته أم لا؟

هذا المعنى ليس من الضروري أن الناس يقولونه لكن التعامل الموجود قد يشير إلى أن هذا المعنى هو المعنى المأخوذ من هذه الكلمة المباركة، يعني إذا قمت بعملية استقراء وسألت إنساناً شيعياً هل هذه الكلمة تطالبك أو تضع شيئاً في عهدتك؟ إذا أراد أن يجيب وكان صادقاً ماذا يقول؟ نحن نحبها ونتعاطف معها ونتبرأ من ظالمها ونبكي عليها ونذكرها ونسمي بناتنا باسمها ونزورها وأمثال ذلك

المعنى الثاني: هو أن النبي (ص) يريد أن يشير إلى مقاماتها في الحركة الخلقية، يعني أن النساء خلقتن تبع لخلق فاطمة (ع)، هذا معروف ومطروح، يعني إذا شخص يسمع بجد ويحتك بالناس يجد بأن هذا مطروح أن فاطمة (ع) كانت نورا فمن نورها خلقت الأفلاك، خلق العالم، خلقت النساء كذلك، فهي سيدة نساء العالمين بهذا اللحاظ وبالتفاصيل كثيرة، فالكلمة تشير إلى هذا حسب المعنى الثاني

هذا المعنى كذلك لا يطالبنا بشيء خاص، يعني هل يفرض عليك موقفا؟ يطالبك بموقف؟ هذا المعنى لا يطالبك بأي شيء يعني موقف يغير حياتك، لو نفترض بأن فاطمة (ع) لم تكن نورا أو لم يثبت ذلك -وهو ثابت- ماذا يتغير؟ هل يوجد شيء يتغير؟^٦

المعنى الثالث: هو أن النبي (ص) يريد أن يطالبنا ويطالب النساء بشيء معين بهذه الكلمة، يعني هذه الكلمة كلمة تشريعية تشريع شيئا مثل (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)^٧، هذا تشريع أو إخبار؟ يفسرونه تفسيرا تشريعا، يعني: أيها الناس عاملوا فاطمة (ع) معاملة السيدة، مشكلة هذا المعنى أنه هو ليس واضحا، فالمرأة تتحجب؟ الحجاب واجب حتى إذا لم تكن فاطمة (ع) سيدة نساء العالمين، فجميع المتطلبات الشرعية للمرأة المؤمنة هي موجودة من دون أن تمر عبر هذه الكلمة، فهذه الكلمة لا تعطي شيئا زائدا، لا تعطي تشريعا جديدا إضافيا

المعنى الرابع: هو أن النبي (ص) يريد أن يدعونا من خلال هذه الكلمة إلى شيء، هذه الكلمة تعني أن (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)^٨، نفس هذه المسائل موجودة في تلك الآية الكريمة، أنه أيها الناس فاطمة جعلها الله سيدة نساء العالمين، نصبها سيدة، لكن هذه السيادة ليست هي فقط شأن الله عز وجل، كما أن الإمامة ليست هي فقط شأن الله عز وجل، يعني أن الله عز وجل جعل عليا إماما وأنا ليس عليّ شيء!

بل السيادة هي سمة لا بد منها بالمجتمع، فمن تكون سيدة النساء؟ ومن يكون سيد الرجال؟ ومن يكون سيد الناس؟ هنا يقول النبي (ص) -حسب المعنى الرابع- أن فاطمة (ع) هي سيدة نساء العالمين، ففي هذه الصورة أنا وأنت لا نكتفي بذلك، هذه الرواية تطالبنا بشيء وهو أن قسما من هذا فعله الله تعالى وفعله النبي (ص)، والقسم الثاني من يفعله؟ نحن نفعله، لأن هذه السيادة الفعلية الواقعية لا تحصل إلا أن يحصل جو معين، وضع معين، في هذا الوضع فاطمة تكون سيدة نساء العالمين، لا أنها هي في اللجنة سيدة نساء أهل اللجنة والشخص يتبين له ذلك هناك في اللجنة!

(٦) بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب هكذا نهج لي الطريق، فصل (الأئمة (ع) بلحاظ مقاماتهم و...) ص ٦٠

(٧) (الأحزاب: ٢١)

(٨) (المائدة: ٥٥)

كما قلنا إنه توجد إمامة شأنية، يعني مثلاً أمير المؤمنين (ع) كان إماماً وشأنه الإمامة، الله جعله إماماً، لكن الإمامة الفعلية بحيث يكون إماماً في الواقع فهذا شأني أنا وشأنك أنت وشأن الناس، نحن نجعله إماماً فعلاً وعلى هذا الأساس إمامة الإمام نحن نوجدوها، الآن حينما أبدأ أعرفها فنفسى الآن تمثل إمامة أمير المؤمنين (ع)، بهذا المقدار أصبح (ع) إماماً واقعياً فعلياً بالنسبة لي وكلما يتوسع بين الناس إمامته تتوسع

كذلك هذه السيادة، فأنا هنا مطالب بأن أقيم هذه السيادة، لا فقط أتعاطف مع فاطمة (ع) بل أجعلها سيدة نساء العالمين^٩، أنا أجعل علياً (ع) إماماً، هو إمام من قبل الله عز وجل لكن في الواقع أنا الذي أجعله إماماً في النفوس، ليس أنا كفرد، هذا الهدف إذا حصل لي ونفس هذا الهدف إذا حصل لك هنا أنا وأنت الآن أصبحنا ذوا هدف واحد، فتطبق علينا جميع الأوصاف التي يوصف بها المؤمنون، أخوان متعاونان، أنا عيني عليك أنت عينك علي، أنا عينك وأنت عيني، أؤثرك وتؤثرني، تطيعني وأطيعك، يوجد هدف مشترك ومنتظم حسب هذا الهدف، أنت من موقعك تستطيع أن تسعى لتحقيق هذا الهدف، وأنا من موقعي أسعى لتحقيق هذا الهدف فأنا لا أستغني عنك وأنت لا تستغني عني

لو صح هذا المعنى للرواية، فهل من الصحيح أن نقول أننا لا بد أن نسعى ونبرمج ونخطط لأن نجعل فاطمة (ع) سيدة نساء العالمين؟! أم أننا لا بد أن نسعى إلى عالم يكون بحيث فيه يُشهد حقيقة على نبوة رسول الله (ص)، إلى عالم تكون فيه الإمامة لعلّي (ع)، نسعى إلى عالم تكون فيه الإمامة للأئمة (ع)، فبشكل طبيعي هذا العالم لمن تكون فيه سيادة نسائه؟ تكون لفاطمة (ع)، لا أنه فقط نركز على سيادة فاطمة (ع)، بل حتى إذا ركزنا على أن نصنع عالماً كعالم رسول الله (ص) هذا غير صحيح، وإنما نسعى لعالم نرغب فيه، نعاني من عدمه، ننتظر الفرج بسببه، عالم يكون فيه جميع الأئمة (ع) أئمته

الآن أنت وشأنك من هذه المعاني أي معنى تستحسنه نفسك، نفسك التي تفتقد شيئاً وتسعى إليه لتتبعه، أكتفي بهذا المقدار، والحمد لله رب العالمين

(٩) بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في حديث منشور في الموقع بعنوان (التعامل مع فاطمة الزهراء (ع) كسيدة نساء العالمين)